تفليس إبليس

لابن عربي

محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

قدم له وعلق عليه

عبد الرحمن حسن محمود

مكتبة عالم الفكر

ميدان سيدنا الحسين - القاهرة

ت: ٩٢٦٦١٠٩ - ٤٠٣٤٠٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، محبوب رب العالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وحشرنا فى زمرته صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطيبين الطاهرين .آمين.

وبعد : فهذا كتاب من كتب سيدى محيى الدين بن العربى الحاتمى الطائى ، المشهور بـ « الشيخ الأكبر » رضى الله عنه ونفعنا به : رد فيه على القدرية والجهمية بأسلوبه هو : أسلوب الرمز والإشارة حينا ، والتصريح عندما يقتضى الأمر ذلك .

طبع لأول مرة عام ١٢٧٧ هـ بمطبعة الشيخ حسين بن حسين الخشاب وشريكه الشيخ محمد السمالوطى رحمهما الله تعالى وقرظها الشيخ « حسن بن أحمد » الطويل رحمه الله تعالى تحت عنوان :

« القول النفيس فى تفليس ابليس »

ونسختها المطبوعة محفوظة بمكتبة الأزهر الشريف

تحت رقم : ٨٩٨ خاص تصوف

٣٣٥٣٢ عام

وللشيخ عز الدين بن عبد السلام (بائع الملوك) رحمه الله تعالى كتاب يحمل هذا العنوان أيضا :

« تفليس إبليس »

قال الأستاذ الفاضل « محمد رياض المالح » فى « فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية : التصوف جـ ١/ ٣٠٠ مانصه :

« ٤٢٠ ـ تفليس إبليس » رسالة فى الإرادة والأمر : الأمر يقول : افعل ، والإرادة تقول : لاتفعل ، والفعال لما يريد ـ لايسئل عما يفعل ـ.

فقوم علقوا بالأمر ، فضلوا ، وقوم علقوا بالإرادة ، فزلوا .

وقوم جمعوا بين الأمر والإرادة فهدوا .

وهى تدور حول موضوع : « الخير من الله والشر من النفس » .

المؤلف : عز الدين ، بن عبد السلام ، بن أحمد ، بن غانم ، المقدسى المتوفى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩م ، أولها :

الحمد لله الذى خلق آدم للبشر أبا ، واستخرج من ذريته قبائل وشعُبا ، وأجرى عليهم قلم القضاء ، وجعل لكل شىء سببا .

آخرها « ... ولا ينقض الحكم عليه ، قوله الحق ، ووعده الصدق . إن وعد وفا ، وإن توعد عفا ، والمشيئة إليه فى تهديده ، والإرادة له فى وعده » إهـ

ثم قال :« ملاحظات : « جاء فى معجم المطبوعات » ١٩٦ أن اسمه : « القول النفيس فى تفليس إبليس » ونسب خطئا لابن عربى ، وفى كشف الظنون ٤٦٣/١ و٤٦٤ تحت اسم :« الحديث النفيس فى تفليس إبليس » وهو نفس الكتاب .إهـ

والذى ظهر لى وتحققته تماماً أن التشابه وقع فى الأسم فقط مع بعض الأختلاف فيه أيضا ، فإن أسم كتاب العلامة العز بن عبد السلام « تفليس إبليس » وحسب وأسم كتاب العلامة المحقق ابن العربى الحاتمى الطائى « تلبيس إبليس التعيس » كما هو موجود فى المقدمة التى كتبها هو

للكتاب نفسه .

وأما ماهو موجود على أول المطبوعة ، فهو إما من كان قائما على طبعه ، أو من الناسخ الذى نسخ الكتاب لإفادة أن ما قرل نفيس يجب معرفته

أما موضوع الكتابين فواحد ، هو الرد على القدرية والجبرية .

وأما الرد نفسه فمختلف ، فإن ابن عبد السلام ـ كما ذكر الأستاذ الفاضل « محمد رياض المالح » ـ يدور حول موضوع « الخير من الله ، والشر من النفس »

وأما ورد ابن العربى الحاتمى رضى الله عنه فكان عن طريق حوار أجراه مع أبليس اللعين ، لأنه كما قال ابن العربى الحاتمى رحمه الله ـ أول من سن مذهب القدرية ، وأيضا هو أول من مذهب الجبرية ، وتصور إبليس أمامه ، فأخذ منه ورد عليه ، بأسلوب من أساليب الإشارة الذى تميز به رحمه الله عن أقرانه رضى الله عنه وعنهم جميعا .

أول كتاب العز :

وقد ذكر أستاذنا الفاضل الأستاذ « محمد رياض

المالح » أول كتاب ابن العز بن عبد السلام ، وآخره

وهذا كتاب الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى بين يديك ، فأوله ليس أول كتاب العز بن عبد السلام ، وآخره كذلك ، إذ آخره ـ لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ـ ، ـ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ، آمين ـ فحكم الأستاذ محمد رياض المالح « بأنه هونفسه : حكم غير صحيح .

والظاهر أنه اعتمد على ما فى معجم المطبوعات ، ولم ير كتاب ابن العربى والله تعالى أعلم .

أما عن المطبوعة فالظاهر أن المخطوطة التى نقل منها كانت ملكا لأحد الناس ملكية خاصة .

وقد قرظ المطبوعة العلامة الشيخ حسن بن أحمد « الطويل » وهو رجل من مشاهير أهل العلم والفضل رحمه الله تعالى ، بقاله فى آخر الكتاب .

صح النسيم فعلنى مشعشعة
تنفى همومى فى حانات تقديس
واسق النُدامى ، وقل بنت الكروم دنت
إلى الكرام ، وليست راح قسيس

وحَيْ حَيِّ[1] بحى الدين مكرمة

فإن حجته وتقى بتأسيس

ماذا استداحى فتى أبدى أدلته

فزال ماجاء إبليس بتلبيس

ماكل مستحسن طبعا أوَّرخه

بل حلية الطبع تفليس بإبليس

٤٨٠ / ١١٢ / ٥٨٠ / ١٠٥

مجموعها : ١٢٧٧ : عام الطبع .

أما الكتاب نفسه فقد رد مفتريات القدرية والجبرية بمناقشة أستاذهم إبليس اللعين ، وألزمهم الحجة بإسلوبه الخاص ، وه السهل الممتنع » .

وأما عن القدرية فهم مجوس هذه الأمة ، كما ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف ، حيث قال :

« القدرية : مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم »

(رواه أبو داود ، والحاكم)

(١) حى الأولى : من التحية ، والثانية من الحى الذى هو اسم مكان ، كالشارع والبلد ، والحارة وغيرها.

وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لانتكلم فى القضاء والقدر ، لأن الكلام فيه يجر إلى الكفر الصريح ، فقال :

« إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا »

(رواه الطبرانى وابن عدى عن عبد الله مسعود ، ورواه ابن عدى عن ثوبان ، وعن عبد الله بن عمر) .

والقدرية والجبرية علقوا جرائمهم وقبائحهم على شماعة القدر ، فاتهموا الله سبحانه وتعالى بالظلم ، وبرءوا أنفسهم من كل عيب ، فوقعوا فى الهاوية ، فى النار الحامية ، والله من ورائهم محيط ، وأسلوبهم فى هذا كما قال الشاعر:

يخطئ ربه سفها وغيا * ويعذر نفسه فيما يشاء

والله الهادى إلى سبيل الرشاد ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ،

المحقق

عبد الرحمن حسن محمود

بسم الله الرحمن ارحيم

الحمد لله الذى جعل التوفيق للنجاة سببا ، ويسر الخير لمن شاء من عباده وناله بذلك أربا .

أحمد الله سبحانه وتعالي حمد عبد اطاع مولاه ولم يكن للذنوب مرتكبا .

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع لقائلها عند الله رتباً ، فلا يزال راقيا مرتقيا .

وأشهد انّ محمداً عبده ورسوله الذى أرسله من أكرم الناس نسبا ، وأطيبهم حسبا ، وأشرفهم عجما وعربا وأجلهم خلقا وأحلمهم خُلقا ، وأكملهم أدبا .

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما أثارت الرياحُ سُحُبا ، وأنارت الغياهب[1] نجومًا وشهبا ، آمين .

وبعد : فإني نظرت في دائرة الشقاء والسعادة فإذا هي دائرة على خط الأمر ومركز الإرادة .

وبينهما تدقيق يدق خفاه عن التحقيق ، ومضيق يفتقر إلى رفيق .

(١) الغياهب : الظلمة ، ونجوما وشهبا مفعول ، لأنه كلما اشتدت الظلمة كلما لمع النجم ، فكأن الظلمة كانت سببا فى شدة ظهوره .

فالأمر يهب والارادة تنهب .

فما وهبه الأمر نهبته الإرادة .

الأمر يقول : افعل ، والإرادة تقول : لا تفعل .

والفعال لما يريد ـ لا يسأل عما يفعل ـ[1] .

فقوم علقوا بالإرادة فزلوا.

وقوم علقوا بالأمر ، فضلوا .

وقوم جمعوا بين الأمر والارادة فهدوا إلى الصراط المستقيم واستقلوا .

فأما الذين تمسكوا بالأمر: أضافوا الفعل إلى أنفسهم ، وجعلوا لها تقديراً وفعلا ، وقالوا : إن الله لم يخلق الشر ، ولم يقدّره ، ولم يرده ، وإنما هو من خلق أنفسنا وفعلها ليس لله فيه إرادة .

وزعموا ـ بجهلهم ـ أن ذلك تنزيه للبارى سبحانه وتعالى عن الرذائل والقبائح أن يخلقها ويقدرها، فعنوا بما زعموا[2]، وضلوا من حيث نزّهوا ، وأشركوا بالله ، إذ

(١) لقوله تعالى :(لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون) الآية ٢٣ سورة الأنبياء .

(٢) قوله (فعنوا) : من العناء ، وهو التعب .

شاركوا الله فى خلقه وتقديره .

ولزمهم ـ فى اعتقادهم ـ أن يكون الله سبحانه وتعالى عاجزا فى حكمه وقضائه عن كثير من خلقه ، لأن المعصية أكثر من الطاعة ، والشر : أعم من الخير، والكفر: أعم من الإيمان .

فإذا اعتقدت أن الله تعالي لم يرد ذلك الشر ولا المعصية ، وأنت أردتها لنفسك ، ثم وجدت مرادك دون مراد الله تعالى ، فإرادتك اذاً غالبة لإرادته ، فقد غلبته فى ملكه ، وقهرته في حكمه ، ومحوت إرادته وأثبت إرادتك ، وكان الذي تريد : دون الذى يريد .

وهذا والله قبيح بعيد مخلوق ، فكيف يليق هنا بمن ـ له الخلق والأمر [1] ـ .

ومن ـ قوله الحق[2] ـ له لأمر ـ والله خلقكم وما تعملون[3] ـ .

ثم لا يخلو سبحانه وتعالى : إما أن يكون ـ قبل

(١) لقوله تعالى: (له الخلق والأمر) الآية :٥٤ من سورة الأعراف .
(٢) من قوله تبارك وتعالى : (حتى جاء الحق وظهر أمر الله) الآية ٤٨ سورة التوبة .
(٣) سورة الصافات ، الآية : ٩٦ .

وقوعك فى المعصية ـ عالما بما يكون منك ، أم لا .

فإن قلت : غير عالم فقد كفرت إجماعا.

وإن قلت : إنه عالم بمعصيتك قبل وقوعها منك ، فلا يخلو إمّا إن يكون قادرا على منعك منها ، ودفعك عنها ، ثم لم يمنعك منها. ولم يدفعك عنها، وهو لا يريدها ودفعها ـ على زعمك ـ فقد أبطلت مذهبك ، وأكذبت نفسك [1].

ثم ثبت حينئذ أنه قدرها عليك ، وأرادها لك منك بدليل قوله تعالى : (إنا كل شئ خلقناه بقدر).

وأما الذين تمسكوا بالإرادة ،وهى المشيئة : أحالوا فعلهم وعملهم إلى الله تعالى ، وأسندوا أفعالهم المخلوقة إلى الخالقية ، وقطعوا نطاق العبودية وتبرءوا من أعمالهم ، وقالوا : نحن مجبورون بحكمه ، مقهورون بمشيئته ، فنحن مستعملون فيما قدّره علينا ، وقضاه فينا ، فنحن فى قبضة قهره ، لا تتوجه له حجة لأمره ، فلزمهم ـ فى اعتقادهم ـ إبطال الأمر والنهى ، فلا معنى لأنزال الكتب وإرسال الرسل ، فإن الله تعالى أنزل الكتب مشحونة

(١) هذه مناقشة للمعتزلة وإبطال لمذهبهم الفاسد .

بالأمر والنهى[1]، لا بالقضاء والقدر، فأرسل الله تعالى الرسل دعاة إلى الله ، إرادة فى طريق الشرائع ، أعلاما على محجة الدين ، قائمين بالحدود ، قال الله تعالى :

(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[2]

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدمير)[3].

والمعنى أمر رؤساءهم بالطاعة والقيام بالأحكام ، ـ ففسقوا فيها ـ أى خرجوا عما أمرناهم به ونهيناهم عنه ـ فحق عليها القول ـ أى وجب عليها العذاب ـ فدمرناها تدمير ـ .

فجعل سبحانه وتعالى الأمر والنهى دليلا على ـ أن لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ـ فمن تمسك بالمشيئة ، ولم ينظر إلى الأمر ، فقد قطع نطاق العبودية ،

(١) لأن القضاء والقدر من شأن الله تعالى، وليس لنا أن نتكلم فيه لأنه من صفات القدرة وتعلقاتها ، وأما نحن كمخلوقين فعلينا السمع للأمر الإلهى والطاعة وأن نلتزم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إذا ذكر القضاء والقدر فأمسكوا » [رواه الطبرى وابن عدى عن عبد الله بن مسعود وعن ثوبان ، وابن عدى عن سيدنا عمر] .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

(٣) " " " : ١٦ .

وأبطل حجة الله تعالى على خلقه ، و ـ لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ـ[1] ـ فلله الحجة البالغة ـ بالأمر والنهى ، وإنزال الكتب وإرسال الرسل ـ ولو شاء لهداكم أجمعين ـ بالمشيئة .

فقد أشار سبحانه وتعالى فى هذه الآية إلى حكمة الأمر ، وإلى حكم المشيئة ، بينها على التمسك بطرفى : الأمر والإرادة .

أما الأمر فقد جعل لك نوع فعل ، وإضافته إليك كسْبية وسببية ،لا إضافة خلقية ، فإن الشىء يضاف إلى السبب كما يضاف إلى المسبب ، قال تعالى مخبرا عن الأصنام : (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس)[2] مع أنهن أحجار ، لا يسمعن ولا يبصرن .

وأما مثال إضافة العمل إليك وإضافتك إليه ، كمثل حمل ثقيل بين يد رجلين ، أحدهما قادر على حمله ونقله ، والآخر عاجز عن حمله ونقله ، فرفعاه ، وتساعدا على نقله، فهو إنما يضاف فى الحقيقة إلى القوىّ ، وإنما لذلك العاجز نوع اشتراك معه فى نقله ، مجازاً لا حقيقة .

(١) سورة الأنعام الآية : ١٤٩.

(٢) سورة سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، الآية :٣٦ .

والحق سبحانه وتعالي أثبت لك فعلا لتوجه الأمر والنهى عليك ، وجعل الإرادة والمشيئة إليه ، والهداية والضلالة بن يديه ، فهو - يهدى من يشاء ويضل من يشاء - و - لا يسئل عما يفعل وهم يسألون - فأنت مستعمل الاختيار، مسلوب الاختيار - وربك يخلق ما يشاء ويختار، ماكان لهم الخيرة سبحانه وتعالى عما يشركون -[1] .

ثم إن هذه المسئلة المعضلة المشكلة هى أصل منشأ الهدى والضلالة ، ومفرق طريق العلم والجهالة ولقد تورط فى تحقيقها كثير من الجهال ، وعمى عن طريقها جمّ من أمم الضلال ، فكان أول من زلق فى مزالقها. إبليس اللعين ، لمّا هوى فى هواء المحال .

لقد ظنّ أن اعتماده على عكاز المشيئة ينجيه ، فقال - بما أغويتنى -[2]

ثم ألقى عكاز المشيئة ، وتعلق بحبال من الأمر ، فقال :

- لازين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين -[3] .

(1) سورة القصص ، الآية :٦٨ .
(2) سورة الأعراف ، الآية : ١٦ ، وسورة الحجر ، الآية :٣٩ .
(3) سورة الحجر ، الآية : ٣٩.

ففى الأول : قطع ربقة العبودية بإحالته على المشيئة فسنّ مذهب الجبرية [1] .

وفى الثانى : أضاف الفعل إلى نفسه ، وشارك الربوبية فسن مذهب القدرية [2] ، فعمى عن الطريق القويم ، والطريق المستقيم ، وهو التمسك بطرف الأمر والإرادة كما فعل آدم عليه الصلاة والسلام ، إذ قال :

- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين -[3] .

فلما كان ابليس أول من أيس من رحمة الله تعالى ، ولبّس على عباد الله ، ودنس الطريق إلى الله بمعصية الله تعالى أحببت أن أوقفه موقف الجدال ، وأنا قشه بلسان الحال الذى لا يدنسه محال [4] ، فإذا أبلس ، ومن الخبير أبلس[5] علم متابعه ومبايعه حجته الزائفة ، ومحجته

(1) يقول : إن أستاذ مذهب الجبر :إبليس لعنه الله .
(2) وهو أستاذ القدرية أيضا .
(3) وبهذا يكون أبونا آدم صلى الله عليه وسلم دحض اللعين جميعاً .
(4) يشير إلى أنه أجرى مناقشة هذين اللعين عن طريق عرض قضية المذهب والرد عليها بما يوقف القائلين به عند حدهم ، واستحضر إبليس رأس الكفر كأنه معه يناقشه ويرد عليه .
(5) قال فى مختار الصحاح : أبلس من رحمة الله ، أى أيس ، ومنه سمى إبليس ، ثم قال : يقال أبلس فلان : إذا سكت غما .

الرائقة [1] فيجتنبه من يجرى من مجراه ، ويسرى مسراه ، وهو الذى أردنا كما وصفنا ، فإن ابليس - وإن كان نفذ حكم الله فيه ، وجرى عليه قلم الشقاوة ببعده من الله - لكن شياطين الإنس وأبالسة الجن أشد بأساً وأصعب مراساً. وأقوى وسواسا من وساوس إبليس .

ولذلك بدأ الله بذكرهم وحذر من مكرهم ، فقال تعالى :

- وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن - [2].

والنفس إلى شياطين الإنس اميل ، وهم عليها أقوى وأحيل [3]، فهم خلفاء الشيطان وخلفاؤه ، وقرناؤه وألفاؤه .

وقد وضعت كتابى هذا لتمزيق شمل الفريقين ، ووجوب الحق على الفئتين ، وسميته :

« تفليس إبليس التعيس »

ليتكيف الناظر فيه تلبيس إبليس ، فيميز بين الخسيس والنفيس .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١١٢ . (٢) من الحيلة .
(٣) من قولهم : راغ إلى كذا : مال إليه سراً وحاد .

فإنى لما اطلعت على تبلس إبليس : رأيته بئس الجليس ، لأنى رأيته على تنقيص أولياء الله تعالى ، والقدح فى علو مراتبهم ، وزكى مناصبهم [1]، والله تعالى يقول :

(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) [2].

فليت الواقع فيهم والناقد عليهم تأدب بآداب إبليس [3]، حيث قال :

(فبعزتك لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) [4].

اعلم أن لله تعالى خلصاء لا يصل إليهم ولا يقدر عليهم ، وهو أقل مقدارا وأذل اقتدارا، وأخفض منارا أن يجول فى مجال الرجال ، أو يطول في مطال الابطال .

وإنما جعل الشيطان النساء حبائله [5] ولوساوسه

(١) والمعنى أنه مقيم على ذلك . (٢) سورة الحجر ، الآية :٤٢ .
(٣) والمقصود أن تلامذة إبليس من القدرية والجبرية وغيرهما : شرعت فى الرفيعة وإيقاع الناس فى العقائد الفاسدة .
(٤) سورة ص ، الآية :٢٤ .
(٥) لقوله صلى الله عليه وسلم : « ... والنساء حبائل الشيطان » رواه أبو نعيم فى الحلية ، وابن لال عن عبد الله بن مسعود ، والديلمى عن عبد الله بن عامر ، والتيمى فى كتابه « الترغيب » والخرائطى =

رسائله ، فلا يقع فى حبائله إلا ذو عقل ضعيف ، ورأى خسيف ، وحال كثيف ، وقد وصف الله كيده فقال :

(إن كيد الشيطان كان ضعيفا)

ولقد أوقفته موقف الجدال ، ونازلته فى معارك النزال ، فجعل يجول وأجول ، ويقول وأقول ، لكنه اسس بنيانه على أساس الوسواس ، وأسست بنيانى على قواعد :

(قل أعوذ برب الناس)

فجعل يخاتلنى مخاتلة الطالب ، ويراوغنى مراوغة الهارب ، فكلما زويته إلى زاوية الأمر نزل بى إلى زاوية الارادة ، وكلما حويته إلى مضيق الشريعة ، مرق إلى طريق الحقيقة .

فقلت له : يالعين اسلك سبيل العدل في الجدال والإنصاف فى السؤال !!.

فقال : هات ما عندك .

فقلت : أنت الذى خلقك الله تعالى بيده ، وأطلعك على بديع صنعته وألبسك خلع توحيده ، وتوجك بتاج

* فى « اعتلال القلوب » عن زيد بن خالد، وهو حديث مرفوع ، والحبائل : الشباك التى يصاد بها .

تقديسه وتمجيده ، جعلك تجول فى ملائكته ، وهم يقتبسون من نورك ، ويقتدون بعلمك ، فما برحت فى الملأ الأعلى تشرب بالكأس الأروى ، وتتلذذ بالخطاب الأحلى طالما كنت لملائكته معلما ، وعلى الكروبين مقدما ، فلم تزل فى صومعة تعبدك ، وقلاية تهجدك ، حتى خلق الله تعالى آدم عليه السلام كما أراد ، واستخلفه على العباد ، فنظرت إليه بعين الاحتقار ، وإلى نفسك بعين الأفتخار ، ورأيت :

(خلقه من صلصال كالفخار)

وخلقك :

(من مارج من نار) .

وكان أول جهلك بنفسك أنك ظننت أن جوهر النار أفضل من جوهر التراب و الماء ، أوما علمت أن كل شىء ألقى فى جوهر النار إلى التلاشى ، ويصير لا إلى شىء ، وكل شىء ألقى فى جوهر التراب والماء ينبت وينمو ، ويعلو ويسمو .

فأى الجوهرين أفضل ، وأزكى وأطهر، وأبهى للناس في المنظر .

ثم لو علمت قدرك من قدره لما غفلت عن أمره ولا

تعرضت لكشف ستره ، فإنّ الله تعالى استعبد خلقه بالأمر لا بالقدر [1] فقال تعالى :

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم) [2].

وقال للملائكة :

(أسجدوا لآدم) [3].

فعدلت إلى معارضة الأمر عن الأوامر ، فخربت ما كان عامر ، وأفسدت الأول بالآخر ، فما جزاء من تجاوز حد عبوديته إلا أن يزداد منه بعدا ويعد له من العذاب مدا .

فتنفس هنالك تنفس الهالك وقال : ياذا الأدمى ، قد كان ذلك ، لكن اسمع قصة غصة تمزق القلوب قلقا ، وتفتت الأكباد حرقا ، من مثلها هلك فرعون غرقا ، ومن خوفها خر موسى صعقا .

يا آدمى : ألكون خالق الأشيا خلقنى كما شاء ، وأوجدنى كما شاء ، مما شاء ، واستعملنى كما شاء ، وقدّر

(١) وذلك لأن الأمر هو ما يأمر الله به عباده من الأوامر والنواهي ، والقدر هو : ما قدره من مقادير ، والذين يتكلمون فى القدر بسوء نية كأنهم يطلبون أن الله تعالى يجب عليه أن يخلق خلقا لا يعلم منهم شيئا ويتركهم هكذا هملا ، وأستاذه فى هذا إبليس .

(٢) الآية : ٢١ من سورة البقرة .

(٣) الآية : ٣٤ من سورة البقرة .

علىّ ماشاء ، فلى أطلق أن أشاء ؟! ولو شاء لردنى لما شاء وهدانى لما شاء ؟ ولكن شاء أن أكون كما شاء :

(ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا) [1].

لكن لما قلته سمعا .

ياهذا سبق لى من كون الأكوان - وكان من الكافرين - فما برحت فى الأزل ، ولم أزل ، فإذا كانت كاف كفرى قد سبق كاف كونى [2] فإذا يكون على القضاء عونى ، ومن يطق من القدر صونى ، بيت مفرد :

ولكن كـل مـا يرضـه عنى

رضيت به ، على رأسى وعينى

ياهذا من ناصيته بيد القضاء ، وضاق به وسيع الفضاء ، وأمره راجع إلى حكم القدم [3] ، وقد قضى الأمر وجف القلم [4] .

(١) الآية ٩٩ من سورة سيدنا يونس صلى الله عليه وسلم .. وهو يهذا يريد أن يتهم الله تعالى وتقدس ، والتى تبعة جرائمه عليه سبحانه . ولكن ابن عربى رحمه الله أخسأ قوله وصوب إليه السهم النفاذ فى قلبه فقتله .

(٢) يريد اللعين أن الله تعالى قد قضى عليه بالكفر قبل أن يخلقه .

(٣) بكسر القاف ، وفتح الدال .

(٤) « جف القلم بما هو كائن فى علم الله » .

ساق المشيئة قد سقا * كأس السعادة والشقا

وأدارها من حيث شا * على الخليقة مطلقــا

فلكل عبد قدر مــا * من ذوقها قد ذُوِّقـا

وزمامهــا بيــد الذى * لكئوسها قدرُوقــا

فــإذا أراد لعاشق * فيها بطيب الملتقــا

ابدى له فى سرِّهــا * فى السر نورا مشرقا

وأتى إلى باب القديـ * ـر من التذلل مطرقا

فحماه لمــا إن أتــا * ه من القطيعة بالرُّقــا

يا هنا وكل راجع إلى أحكام المشيئة ، دائر فى الإرادة عائد إلى سابق القسمة الأزلية لا بسبب زلة ولا لوجود علة وإلا فقد ساوى القدر بينى وبين آدم فى الخطيئة فسلبت دونه العطية ، ورجع آدم إلى ربه بنفس راضية مرضيه ، ورجعت انا الخبيث باللعنة الأبديه ، امرت بالسجود فلم اسجد ، ونهى عن أكل الشجرة فلم ينته ،لكنه هبت على شجرة جنايته نفحات :

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) [1]

(١) الآية : ٣٧ من سورة البقرة .

فجعله لقاحا لشجرة جنايته ، فمن شيتها شفاه ، ومن جيمها :

(اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) [1]

وأما اللعين [2] فعصفت به عواصف اللعنة ، واختطفته خواطف الخيبة ، فنظر فإذا بالملائكة كلهم في حضرة الشهود: ـ سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ـ .

قال اللعين فحدقت فى مرآة علمى وعملى ، فرأيت وجهى مغتمسا بسواد ـ يعرف المجرمون بسيماهم ـ قلت يالعين أراك زائغا عن الحجة ، رائغا عن المحجة غارقا فى وسط اللجة ، ولا لك عليه حجة ، فإنك لو صدقت في دعوى محبتك ، وحققت معنى معرفتك ، لعلمت ان انقياد العبد أولى من إعراضه ، والوقوف عند الأوامر أولى للمحب من اعتراضه ، ثم ما كفاك أن خالفت أمره ثم جهلت قدره حتى واجهته بسوء الأدب ، تقول ـ بما أغويتنى [3] ـ فتبرأت من ذنبك وأحلته على ربك ، قطعت نطاق العبودية .

(١) قوله تعالى في سورة طه صلى الله عليه وسلم : ـ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ـ الآية : ١٢٢ .

(٢) يقصد نفسه .

(٣) لقوله تعالى حاكيا عنه أنه قال فى خطابه لله تعالى ـ فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ـ ، الآيتان : ١٦و١٧ من سورة الأعراف .

هل رأيت من يحيل ذنبه على حبيبه ، ويضيف نقصه إلى مليكه ، بالعين .

فهلا تأدبت بأدب آدم عليه السلام ، لما رأى سهام المشيئة قاصدة إليه ، وقلم القضاء قد جرى عليه ، مسك الحبل بطرفيه ، فأضاف النقيصة إلى نفسه ، لزوما للعبودية وتعظيما لجبروت الربوبية ، فقال ـ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ـ[1]

وما مثال المعاصي والذنوب بالإضافة إلى فاعلها وإلى مقدرها إلا مثال ساقية صغيرة تجرى بأوساخ الناس وأقذارهم ، محكوم بنجاستها مادامت تجرى فى مجرى:

(ألا من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته)

فإذا اتصلت ببحر محيط :

(قل كل من عند الله)

تلاشت فى شطوط الأقدار ، واضمحلت بالاستغفار فى لجج ـ وإنى لغفار ـ فإذا حكم بطهارتها عند حاكم :

(صنع الله الذى أتقن كل شىء)

(١) الآية ، ٢٣ من سورة الأعراف

صلحت هنالك للقبول :

(فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات)

ياشقى : ومعارضتك فى الأقدار أشدّ حيلة من الأنكار وأسوأ حالا من الإصرار والاستكبار، لأنك لزمت مالم يلزم، وادعيت علم مالم تعلم ، فإن علم الإرادة علم علىّ وسر المشيئة سر خفىٌ ،لا يدركه فهم ، ولا يحيط به وهم :

(لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء)

ثم إن حالة أمرك بالسجود لم تكن عارفا بسبق المشيئة ، ولا عالما بنفوذ قضائه فيك ، وامتناعك على تلك الحالة لم يكن بعلمك لعدم إرادته لسجودك ولا لمعرفتك بإرادة معبودك ، وإنما كان امتناعك لفساد اعتقادك ، وسوء انتقادك ، فنظرت إلى آدم محتقراً ، وإلى نفسك مفتخراً ، فكان طردك وإبعادك لمخالفة الأمر ، ليجرى حكمه عليك ، وينفذ قضاؤه فيك فتحير .

فتميز هناك تميز الذيب[1] ، وتغير تغير المريب ، وقال:

(١) التميز هنا : شدة الغيظ حتى يكاد أن يتقطع بعضه من بعض . والذيب ، هو الذئب .

الرشقت بسهمك المصيب ، فأصاب فؤاد المدنف الكئيب ، اوضحت له سر القضا ، ألقيته على جمر الغضا .

ولكن اسمع حديث السر العجيب ، ودقيق المعنى الغريب ،(شعر) :

صب أصابته سهـام القضا

وأضرمت فى القلب نار الغضا[1]

مرت كما شاء مليـك الهوى

فضاق بالقلب وسيـع الفضـا

ياسادتى عطفـا فقد مر لى

زمان وصـل معكم وانقضا

فإننى عبد ، وحقِّ[2] الهوى

إن أقبل الدهر وإن أعرضـا

و[3] واضيعة العمر الذى قد غدا

تَهْبَ يد البين[4] وما عُوِّضا

(١) الغضا : شجر ، ناره شديدة جداً
(٢) الواو للقسم و الهوى مقسم به .
(٣) « و » للندبة : أى إنه يندب حظه .
(٤) البين الفراق ، والوصل : ضده

إلى متى هَجـرك ياسـيدى

فمهجة[1] المشتاق قد أمرضا

انظر إلى قصـة حالى عسى

توقـع المرسـوم بالمقتضـى

وتفصل الحكـم وتجرى على

عوائد العفـو زمان الرضـا

ياهذا إن كنت للمعانى معانى ، فخض معى فى لجج بحار التحقيق ، وغص معى فى مغاص جواهر التدقيق ، لتجتمع فى مجرى الحقيقة والشريعة ، وتعلم سر الله فى الأنفس العاصية والمطيعة ، لأن من شرع فى شريعة عشقه ، وتحقق بحقيقة صدقه ساوى بصحيح قصده بين هجره وصده .

ياهذا :أتظنّ أحداً من العباد أعبد منى ، أو فى العراق أعرف منى[2] .

لا دعوى أصدق من دعاواى ، ولا معنى أصح من معناى ، قال لى : اسجد لغيرى .

(١) مهجة : مفعول مقدم لأمرض ، والتقدير : أمرض مهجة المشتاق هجرك .
(٢) عبر بالعراق ، لأن النفاق باض فيها وفرخ ، وهى مسكن إبليس .

قلت : لاغير .

قال : عليك لعنتى .

قلت : لا ضير ، فإن ادنيتنى فأنت أنت ، وإن أقصيتنى فأنت أنت .

قال : أتفعل ذلك استكباراً أمْ فخاراً ؟!.

فقالت : سيدى من عرفك فى عمره مرة ،أو خلا بك فى دهره لحظة ، أو صحبك فى طريق محبتك ساعة ، حُقَّ له أن يفتخر ، كيف وقد قطعتُ معك الأعمار ، وعمَّرت بحبك الآثار ، كم رقمت من صحايف توحيدك فى الليل والنهار ، كم درَّست من دروس تقديسك وتمجيدك فى الاعلان والإسرار ، فالآثار تشهد لى ، والديار تعرف حقى ، والليل والنهار يصدقنى .

أين كان آدم وأنا صفوة الملائكة المقربين [1].

ياهذا : أتظن أنى أخطأت التدبير ، أو رددت التقدير ، أو غيرنى التغيير ، لا وعلىّ عزته ، وسنى قدْره ، لكنّ

(١) وكذب عدو الله ، ما كان من الملائكة ولا طرفة عين ، لأن الملائكة من نور ، وهو خلق من نار ، وإنما كان معهم فى السماء ، وهذا لا يقتضى أنه منهم كما أن الدار تحوى أولاد الرجل وزوجه ، وخادمه ، ومعروف أن الخادم ليس من الأولاد قطعاً .

خالق الحسن والقبيح [1] ، والسقيم والصحيح ، جمع بين الشىء وضده ، ليدل على كمال قدرته ، وجلال عظمته ، فإن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها ، فجعلنى فى الأول أعلم المحاسن فى الملإ الأعلى للأملاك ، وأزين بها الأفلاك ، وكنت أعلمهم التوحيد ، وإمامهم فى التقديس والتمجيد ، فلما طالع أطفال المكتب أمثلة توحيدهم ، وحققوا هجاء تقديسهم ، وتمجيدهم ، نقلنى من العالم الأعلى إلى العالم الأدنى : أعلم ماهو ضد ذلك وأزين لهم القبائح ، وأبين لهم الفضائح ، فأنا فى الأرض والسَّماء عريف العرفاء ، معلم العلماء ، معجزة القدرة ، وعلامة منشور الصفة وشاهد حضرة الحكمة ، فمن هو فى الحضرة أدنى منى!؟ ومن هو فى الذكر أشهر منى؟ فلى الشرف بأن ذكرنى ، وإن كان قد لعننى ، ولى الفخر اذ أنظرنى ، وإن كان قد طردنى ، فبمعرفتى أنكرنى ، وبحيرتى فيه حيرنى ، ولغيرتى غيرنى ، ولخدمتى له خذلنى ، ولصحبتى له أحرمنى ، ولمعاملتى له قطعنى ، كنت أختلط مع المخلصين ، فأفردنى ، والآن وقتى به اصفى ، وحالى به أشفى ، فإننى كنت أخدمه لحظى ، فارتفع الحظ من البين ،

(١) ومذهب التحسين والتقبيح من مذاهب القدرية .

فإن كنت سقطت من العين ، فقد وقعت فى عين العين ،

« شعر »:

على حبكم أنفقت كنز شبابى
ومن أجلكم فى الحب عزّ مصابى
شرفت بكم دهراً فلما هجرتمُ
جفانى صديقى فيكم وصحابى
وكانت لى الأكوان طوعا فأصبحت
ولا شىء منها مولع بشبابى
ظننتُ بأنى آمنٌ من صدودكم
فخيبنى ظنى وساء حسابى
وما كان ذنبى فى الهوى غير أننى
لغيرك ما وجهت وجه ركابى
ولا استحسنتْ عينى جمالاً رأيته
سواك ولا مر السلو ببابى
وما رضيتْ نفسى بذل ، ولم تزل
عزيزة قدر فى أعز جنابِ

وكم بت والكاسات تجرى على فى
حظيرة قدس ، فى ألذ عتاب
إلى إن رمانى بالصدود معذبى
فرحت وقلبى فى أليم عذابِ
لك الخير فاسلم ما استطعت من الهوى
وإياك عنى : لا يكن بك مابى

يا هذا ، ولقد لقيت موسى على عقبة الطور، وهو بما أوتى مسرور ، فقال لى : ما منعك من السجود ؟!.

فقلت :منعنى من السجود ، الوارد ، نوديت : الدعوى لمعبود واحدا ، ولو سجدت لآدم لكنت مثلك ، لأنك نوديت مرة واحدة :

(انظر إلى الجبل)

فنظرت ، وأنا نوديت مرة :

(اسجد لآدم)

فما سجدت ، لدعواى بمعناى .

فقال لى : تركت الأمر ؟

قلت : ما أمرنى .

فقال : أليس قال لك

(اسجد لآدم)

فقلت : ذاك امر ابتلاء ، لا أمر ارادة ، ولو كان أمر إرادة لسجدت .

فقال : لا جرم أن صورتك ممسوخة .

فقلت : ياموسى ذاك إبليس الحال ، لا معوّل عليه ، لأنه يحول ، والمعرفة صحيحة لم تتغير ، وإن كان الشخص قد تغير ، فإن الصفا باق لم يتكدر .

فقال لى موسى : فهل تذكره الآن بعد طردك .

فقلت : ياموسى لا أعرف غيره أحداً ولا أذكر غيره أبدا ، ولو عذبنى بنار الأبد .

ياموسى : أنا فى الخدمة أقدم ، وفى الفضل أعظم ، وفى العلم أعلم ، أنا أعلمهم بالسجود ، وأقربهم إلى الوجود ، وأوفاهم بالعهود ، وأدناهم إلى المعبود ، لكن

سيدى قال : لى الاختيار ، لا لك .

فقلت : سيدى لك الاختيارات كلها ، فاختيارى إليك ، فإن أعطيتنى فأنت الرفيع ، وأن منعتنى من السجود[1] ، فأنت المنيع وإن أخطأت فى المقال ، فأنت السميع ، وإن أردت أن أسجد له ، فأنا المطيع ، « شعر »:

إذا كان حظى منك ذا الصد والجفا
فسيان إن جار الزمان وإن وفا
ومن منقذى من ظلمة البحر والفلا
إذا كان مصباح القبول قد انطفا
سأبكى ، وما يجزى عن المذنف البكا
وأقضى وقلبى بالصبابة ما اشتفى
فما حيلة المطرود إلا بكاؤه
ولا يألف المهجور إلا التأسفا

يا هنا : تامل إن كنت ذا فطنة ، كم فى خبايا تلك اللعنة من منة ، فالخبيث باللعنة مسرور ، ولست

(١) يريد الخبيث أن يقيم الحجة على الله تعالى .

بالحقيقة مهجور، لأنه جعلنى فى ذكره [1] مذكور، وفى كتابه مسطور محلى من عباده الصدور ، ومنزلى من قلوب أوليائه معمور ، فلئن هجر رسمى فما هجر اسمى ، ولئن رفض قدرى ، فما رفض ذكرى ، فما برحت منته علىّ واحسانه إلىّ .

وإن كان غضبان على ، وحسبى من الحب سلبى ، ورضيت من القرب منه قربى من أهل طاعته ، ومزاحمتى لأهل محبته ، فلا أزال ازاحمهم على ذكره وأساهمهم نوال بره ، فلى من كل عمل نصيب ، والى كل قلب سهم مصيب ، لما طردنى من الحضار، سألته الإنظار، فقال :

(إنك من المنظرين)

فقلت : سيدى كنت عليك مكرما ، وعند خواص حضرتك معظما ، فجاء منشور :

(لا يسئل عما يفعل وهم يسألون)

فكانت ولاية التكريم لآدم ، فكتب منشور ولايته

(ولقد كرمنا بنى آدم)

فقال الخبيث : (إرأيتك هذا الذى كرمت على لئن

(١) أى فى القرآن .

أخرتنى إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا)[1] .

فقال : يالعين توهم بقولك - هذا الذى كرمت على - أنك كنت لدى كريما ، وعلى عزيزا، إنما الكرامة للماء المهين ، ولك العذاب المهين .

قلت : (وعزتك لاغوينهم أجمعين)

قال : يالعين ، تقسم بعزتى وأنا ألعنك .

فقلت : سيدى ليس عندك شىء أعز من عبدك ، ولولا حبى لعزتك مارضيتك معبودا ، ولولا عظمة عزتك ما انكرت لآدم السجود ، لكننى تعززت بعزتك ، فلم أزل عزيزاً، ولا تذللت لاحد غيرك ، فأنا أقسم بعزتك التى تعززت بها عن أمثالى ، واستغنيت بها عن أشكالى ، فانا استثنى فى يمينى من هو محمى بحمى عصمتك :

(إلاعبادك منهم المخلصين)

(١) سورة الأسراء ، الآية ٦٢: وقوله « لئن أخرتن » وهى بغير ياء فى قراءة حفص ، وباثباتها فى قراءة أخرى ، والكل صحيح ، وثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أراد اللعين أن يغالب ربه سبحانه وتعالى ، فقال (انظرنى إلى يوم يبعثون) الأعراف ٤: ، والحجر ٣٦ ليهرب من الموت ، فقال الله سبحانه وتعالى : (إنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم) الحجر ٣٦و٣٧ فخسر الذى كفر وانتحر إلى الأبد .

فاستشفانى فى ذلك على حسن ثنائى ، وصدق ولائى ، وصحة دعواى ، فلا أسجد لغير وجهك ، ولا أقسم بغير عزتك .

فقال : ياطريد قد جعلت لك حزبا، ولى حزبا، فمن كان لك سلما : كان لك حزبا ، ومن كان لى سلما كان لى حزبا

(ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)[1].

(إلا ان حزب الله هم المفلحون)[2].

قلت : سيدى الأمان الأمان ، فإن الطالب لا يطالبُ والغالب لا يغالبُ ، والحاكم لا يحاكم ، والقوى لا يقاوم لكننى لشقوتى أقمتنى ـ دون عبادك ـ فى صف عنادك لنفوذ مشيئتك ومرادك ، وكان مرادى أن أريد ما تريد ، ولكن سبق فى القدر:

(فمنهم شقى وسعيد)

« شعر » :

لما رأيت القضا يمضى * من غير أمرى ولا مرادى

(1) سورة المجادلة ، الآية : ٢٣

(2) . . . .. : ٢٢

وخيله العاديات تجرى * بالحكم فى سائر البلاد

وبالمقادير صائبات * تقتنص الأسد فى البوادى

وكل ما قد قضاه يمضى * فما اختيارى وما اجتهادى

سيدى ، فإذا طردتنى من حبك ، وأحرمتنى من حزبك ، فلا تطردنى من حرم صحبك .

فقال : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)[1].

وقد نفيتك عن حرم السلطان .

فلما كان ما كان طلبت نفسى للصلح مكان ، استرجعت خلع محبوبى ، ورددت إلى خزانة :

(من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه)[2] .

فقلت سيدى ما الذى عوضتنى عن خلعتى .

قال : (إن عليك لعنتى)[3].

فقلت : كيف يطيقون محبتك وأنا على طريق محبتهم

(1) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(2) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

(3) سورة ص ، الآية : ٤٢

فقال : يا شقى إن قطعت عليهم طريق محبتهم ، فكيف نقطع عليهم طريق محبتى[1] ، يا خبيث إنما تمسك منهم كل خبيث :

(الخبيثات للخبيثين)[2].

وإنما جعل من العباد من لا خير فيه :

(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا)[3].

لما جمع البشر فى منخل .

(إنا كل شىء خلقناه بقدر)[4].

وغربلوا بغربال :

(ليميز الله الخبيث من الطيب)[5].

وقسموا بقرعة « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى وهؤلاء إلى النار ولا أبالى »[6].

---

(١) يعنى يتبعهم .
(٢) سورة النور ، الآية : ٢٦.
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٥٥ .
(٤) سورة القمر ، الآية : ٤٩ .
(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٣٧.
(٦) أخذنا من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره فقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى » ، رواه أحمد والحاكم » .

فمال إلىّ أصحاب اليمن ، ومال إليك أصحاب الشمال ، فانتخبنا مما انتخلنا طيب اللباب ، وألقينا النخال للدواب ، فمن لم يصلح لخدمتى خدمك وقبّل قدمك ، ومن صلح لخدمتى استخدمك ، وأطال ندمك[1]. ومن لم يصلح للوقوف على بابى طردته إليك رأس المطرودين[2] فاذهب فإن لك ولمن تبعك منهم جهنم جزاؤكم جزاء موفورا .

وأما من صلح لجنابى دعوتهم إلى بابى فسلكوا فى بادية طلبهم إلىّ طريق :

(إياك نعبد وإياك نستعين)[3].

فإن نصبت لهم أشراك الوسواس ، فقد عوذتهم منك بـ :(قل أعوذ برب الناس) .

فلا يزال عبدى بى موصولا ، ولا تطيق منه وصولا ، وقد كتبت له وصولا ، وعلامة وصوله :

(رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون)[4].

---

(١) أى بسبب صلاحه لخدمتى : طال ندمك .
(٢) بفتح السين على تقدير حرف النداء ، والتقدير : يا رأس المطرودين .
(٣) سورة الفاتحة ، الآية : ٥ .
(٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٩٧ .

إن نزل منزلا قال :

(رب انزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين)(1).

وإن دخل خلوة مناجاتى قال :

(أدخلنى مدخل صدق)(2).

وأمّا من أوحيتَ إليه زخرف القول ، وزينتَ له أمانى زورك ، أرسلت إليه :

(الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)(3) فإن زل بأحدهم قدم زلة أو كبت به مطية خطيئة أفرغت عليه مغفر - وانى لغفار لمن تاب - وان استظفرت بمنقطع منهم فى مقطع قطيعة قد أحاطت به خطيئة فأخذت سلبه ، ونهبت مكسبه .

فبينما أنت تقسّم السلب ، وقد أفسدت دينه ، وأضعفت يقينه ، اخذت صلاته وغصبته صيامه ، وهو منتهب إليك ، مستلب بين يديك ، إذ صدرتِ إليك من صدره نبلة توبة فأخذت فى الهرب ، وتركت السلب ، فسلطانك عليهم أن - تعدهم وتمنيهم - واحسانى إليهم أن

(1) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٩ .
(2) سورة المؤمنون ، الآية : ٨٠ .
(3) سورة الأعراف ، الآية : .

تعرض لناديهم وأناديهم ، هل من داع فأستجيب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فاغفر له(1) ، فأنت إن وسعك أن تجرى فى مجرى دمهم وعروقهم ، فأنا .

(ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن)(2).

فإن وصلت بوسواسك إلى صدورهم ، فأنا فى سرهم وضميرهم .

« من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه ، ومن تقدم إلى ذراعا تقدمت اليه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

فقلت : سيدى فبعزتك التى بها أذللتنى وقدرتك التى بها أقمتنى إن حرمت من النظر إليك نظرت إلى من ينظر إليك ، وإن هنت عليك تمسكت بأذيال من هو عزيز عليك .

أحبابنا ان جرتم أو هجرتم

وحقكم لا حل عقد ولا كم

(1) لفظ حديث قدسى شريف .
(2) لفظ حديث قدسى شريف .

ولا استحسنت عينى جمالا رأيته

سواكم ولا سـرت بغير لقاكـم

فقضيتم بوشك البين بينى وبينكم

فما حيلتى إلا الرضـا برضاكـم

ولى حرمة الجار القديم ومن له الـ

أمان ، ومن والاكـم واصطفاكم

فوالله لا أنسى وقد مر لى بكـم

زمان رضـالى قربكم وحماكم

وما كان ظنى أننى بعد صفـوتى

أعـد على حكم العدامن عداكم

على شوم بختى كان عنوان شقوتى

صدودكـم عنى ومـالى سـواكم

وكان رضائى فى رضاى بسخطكم

علىّ فأهلا فى الهـوى برضاكـم

دعانى إليكـم جودكـم فأجبتـه

وعادتكم : أن تجيروا من أتاكم

يا هذا وبعد : فإنى جعلنى سببا لوجود الزلة وعلة لتوجه الحجة بالأمر والنهى، وإلا ففى الحقيقة لا علة لأمره ، ولا تعقل لحكمه ولا سبب لبعـد أعدائه ، فإنه غنى عن خلقه ، قائم بنفسه ، قيوم بعبـاده ، لا تنفعه حسنات المحسنين ، ولا تضره سيئات المذنبين ، قد نفذ حكمه ومضى قضاؤه ، وجف قلمه بما هو كائن فى ملكه ،لا يبدل القول لديه ، ولا ينقض الحكم عليه ، قوله الحق ، ووعده الصدق ، إن وعد وفّى ، وإن توعد عفا ، والمشيئة إليه فى تهديده ، والإرادة له فى وعده ووعيده ، فله أن يعذب بلا سبب ، وأن ينعم خير مكتسب ، وهو فى كل عادل ، فله الخلق والأمر، وبيده النفع والضر - لا يسئل عما يفعل وهم يسألون - كل شىء هالك الا وجهه ، له الحكم واليه ترجعون - آمين .